مجلة الحكمة للدراسات الاسلامية
Eissn :2773-4471 Issn : 2353-043X
المجلد 9 / العدد: 2 (2022) ص 152 - 172

التصوف الكبالي اليهودي وتأثيراته في الفكر الغربي الحديث

The appearancies of Sufism in the Jewish Kabbalah and its impact on modern Western thought

أ.د ليليا شنتوح[1]، د. فطوم موقاري[2]

[1] كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر1 (بن يوسف بن خدة)،

l.chentouh@univ-alger.dz

[2] كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر1 (بن يوسف بن خدة)،

f.mougari@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2022/05/22 تاريخ القبول: 25 /2022/05 تاريخ النشر: 2022/06/02

الملخص

اهتم التصوف اليهودي بالنفس والارتقاء بها للاقتراب من ملكوت السماوات والإله بعلاقة اتحادية حلولية، وبالتالي الوصول إلى القاعات السماوية وهي هدف السالكين اليهود، ويعتبر التقشف والانضباط الأخلاقي والصوم، والتعب في العبادة عند الكبالا وسائل لتحقيق التنوير الروحي، والرؤى المتعلقة بالعالم السماوي، فيتوافق منهجهم مع علومهم الروحية التي تدرس الألوهية كسلسلة متدرجة من التجليات والفيوضات المقدّسة والتي مصدرها واحد. وإن الدارس للفكر اليهودي يجد أن التصوف اليهودي الكبالي لم يكن مجرد فكر واتجاه صوفي فحسب ، بل كان عبارة عن ممارسات وتطبيقات تبلورت في أعمال مجموعة من المفكرين اليهود أمثال سبينوزا Spinoza وفرويد Sigmund Freu ، وأرنست بلوخ Ernst Bloch وحتى جون دريدا John Derrida ، ليشمل تأثير الكبالا الساسة والسياسيين، وعليه نروم من خلال هذا البحث بيان بعض مظاهر التصوف الكبالي اليهودي، وتأثيراته على الفكر الغربي الحديث والمعاصر.

Abstract:

Jewish mysticism is concerned with soul and elevating it to approach the kingdom of the heavens and God in a union and transcendental relationship, and thus access to the heavenly halls, which are the goal of the Jewish walkers. Spirituality that studies divinity as a hierarchical series of manifestations and sacred effluents whose source is one. The student of Jewish thought finds that Jewish mysticism and Kabbalah in particular have a clear impact on directing modern and contemporary Western thought, which is especially evident in the works of some Jewish thinkers such as Spinoza, Freud, Ernst Bloch and even John Derrida, to include the influence of Kabbalah politicians and politicians. Accordingly, we aim through this research to show some aspects of Jewish Kabbalistic mysticism and its effects on modern and contemporary Western thought.

Keywords: Kabbalah, Jewish mysticism, Zohar, Western thought, ritual

---

المؤلف المرسل: أ.د ليليا شنتوح

مقدمــة:

لطالما كان التصوف هو السبيل الأمثل إلى معرفة النفس وعيوبها وآفاتها، وتجسيدا لجانب العمل وجهاد النفس وتربيتها وتزكيتها، وهو ما نجده تقريبا مشتركا بين اليهودية والإسلام ، فالتصوف اليهودي يعني كذلك الارتقاء بالنفس والاقتراب من ملكوت السماوات والإله بعلاقة اتحادية حلولية، وهو ما ورد في سفر حزقيال الذي يعتبر عند رواد الكبالا اليهودية بمثابة نداء من الرب للإنسان أن يتحد به، ويؤدي الهدف الأسمى للروح، وبالتالي الوصول إلى القاعات السماوية، وهي هدف السالكين اليهود، ويعتبر التقشف والانضباط الأخلاقي والصوم، والتعب في العبادة عند الكبالا وسائل لتحقيق التنوير الروحي، والرؤى

المتعلقة بالعالم السماوي، وإن الطموح الكبالي مثل أي تجربة صوفية هو الوصول إلى عالم الحقيقة الإلهية، كحقيقة باطنية رمزية، فيتوافق منهجهم مع علومهم الروحية التي تدرس الألوهية كسلسلة متدرجة من التجليات والفيوضات المقدسة والتي مصدرها واحد.

ولما كان للتصوف اليهودي والكبالا على وجه الخصوص أثر واضح على توجيه الفكر الغربي الحديث والمعاصر تجلى خاصة في عدة ممارسات وآليات فكرية جسّدها كل من ممثل الفكر التنويري سبينوزا المتأثر بالحلولية الصوفية اليهودية، وكذلك فرويد الذي بنى تصوره على تصور الإنسان المستلهم من الفكر الكبالي، وحتى شخصية أرنست بلوخ ذي المرجعية الماركسية الذي يبرز تأثيره في الفكر المعاصر. فإننا نروم من خلال هذه المداخلة بيان مظاهر التصوف الكبالي اليهودي وتأثيراته على الفكر الغربي الحديث والمعاصر من حيث المفهوم والتأثير والممارسة من خلال نماذج

1- مفهوم الكبالا(קבלה):

الكبالا هو الاسم الذي يطلقه اليهود على تيار العرفانية والتصوف، وقد اختلفت الدراسات الغربية والعربية في رسم لفظة الكبالا، فجاءت في اللغات الأجنبية بأشكال مختلفة منها: kabbalah، Kabbale ، و Cabbale، و Cabbalah، وKabbala ، Qabbala (الفيضا، 2018، صفحة 12)، أما الدراسات العربية، فبعضهم رسموها الكابالا، والكبالا والكبالاه، وآخرون كتبوها القبالا، أو القبالاه، بل بعضهم رسمها القبلانية، في حين يعتمد غيرهم لفظة القبالة، وربما يرجع سبب هذا الاختلاف في الرسم إلى محاولة الإتيان بمقابل عربي يكون أقرب إلى رسمها كما تجلى في اللغات الأجنبية (الفيضا، 2018، صفحة 12)، وقبل أن نتطرق للكبالا ومظاهرها بشيء من التفصيل وجب علينا في البداية ضبط مفهوم هذا مصطلح كما يلي:

الكبالا لغة تعني التقاليد اليهودية المرتبطة بالتوراة والمشنا والتلمود وغيرها من مأثورات أقوال الأنبياء وأصحابهم (الجداد، 1988، صفحة 66)، وهي كذلك الطريقة الخفية والمنهج السري أو الطريقة الباطنية، أما من الناحية الاصطلاحية فقد عرفت الكبالا بمجموعة من التعاريف منها:

-جاء في معجم التلمود Boxtrof الكبالا: "علم سري يعالج بطريقة باطنية مواضيع غامضة كالإله والملائكة واللاهوت وما وراء الطبيعة عن طريق رموز سرية" (مغنّم، 2019، صفحة 180). يقوم منهجها في تفسير التناخ، والتناخ بالعبرية תנ״ך (ت ن خ) وهو أكثر أسماء الكتاب المقدس العبري شيوعا في الأوساط العلمية ويسمى أحيانا التناخ المقرأ **מקרא**. (أحمد، دت، صفحة 9) على دعوى أن لكل كلمة وحرف معنى خفي، وأن لأسماء الإله قوة خفية" (صميدة، 2018، صفحة 347).

وعرفها جورج فاجدا بأنها: "حصيلة الإنتاج الذي يضم إلى جانب الباطنية اليهودية جميع النصوص التلمودية والمدراشية، هذا المصطلح يطلق على تفسيرات النصوص المقدسة (Eiseenberg & Scolinc, p. 102) وكل الآراء والمعتقدات الكلامية والفلسفية التي عرفتها عهود الفكر العبري بجواره للفكر العربي" (الطجاوي، صفحة 69).

أما المفكر أندريه شوراكي فيعرف الكبالا بأنها: "تمثل التقاليد الصوفية للعبريين وتروم معرفة أصل العالم وكشف أسراره ومدبره ومعرفة غاياته" (الطجاوي، صفحة 69).

ومن هنا نجد أن معنى الكبالاه لغة هو التقاليد والطريقة السرية، أما في الاصطلاح فهي تعني ذلك الاتجاه الباطني الذي يهتم بقضايا الإله والملائكة وأصل العالم ،أسراره بطريقة باطنية رمزية، والكبالا هي المصطلح التقليدي الذي يفيد التعاليم الباطنية لليهودية والتصوف اليهودي.

2- نشأة الكبالا اليهودية

انتقل التصوف الغالي في المذهب الغنوصي، في الاشراق والباطنية والحروفية والأعدادية أو Numerology والسحر إلى اليهود، ورأى الكثير من اليهود في هذا المذهب خلاصا من الاضطهاد المسيحي ، ومن التعصب المتناهي الذي كان يبديه رجال الدين منهم للقانون ، ومن مطالبتهم بالانصياع إلى أحكامه وتطبيقها بحذافيرها، ولذلك راجت المذاهب الصوفية رواجا كبيرا ، وأهمها المذهب الكبالي (الفاروقي، دت، صفحة 19).

ويبدو أن الكبالا ظهرت قبل ذلك بكثير وبالتحديد بعد فترة الأنبياء أو نبيئيم ، ذلك أن مهمة النبي هي نقل كلام الله إلى الشعب ليسمعه كلام الرب (مهران، دت، صفحة 17)، حيث نقرأ في سفر الخروج "**انْظُرْ! أَنَا جَعَلْتُكَ إِلهًا لِفِرْعَوْنَ. وَهَارُونُ أَخُوكَ يَكُونُ نَبِيَّكَ**" (الخروج، 16:4). ووظيفة هارون مشروحة في مكان آخر من سفر الخروج، حيث نقرأ "**وَهُوَ يُكَلِّمُ الشَّعْبَ عَنْكَ. وَهُوَ يَكُونُ لَكَ فَمًا، وَأَنْتَ تَكُونُ لَهُ إِلهًا**" (الخروج، 16:4)، ومن هنا كان النبي العبراني فما لله أمام الشعب، كما كان فما للشعب أمام الله، ومن هنا فهو الوسيط بين الله و الشعب العبراني.

ولما انتهى عصر النبوة وفقدت الحلقة بين الله والشعب العبراني، وجد المفكرون اليهود صعوبة لفهم طبيعة ونشاطات الرب، وانعكست هذه الصعوبة في فهم محتوى التناخ أيضا، مما جعل بعض الحاخامات اليهود يعملون على صياغة مذهب الوسيط المقدس، والذي اعتقد أنه يتوسط بين الرب والكون، وموازاة مع هذا المذهب رأى الحاخامات أن الحكمة تمثل قناة لإقامة الوجود الإلهي، ومن هنا نشأة الكبالا، ويذكر أنها نشأة على يد الحاخام سمعان بن يوشاي الذي عاش في القرن الثاني الميلادي، وادعى الكشف والإلهام والإشراق، ومما يروى عنه أنه كان متخفيا في المغاور المجاورة بفلسطين مدة ثلاث عشرة

سنة على إثرها كشفت له أسرار السماء والأرض (السمحراني، 1993، صفحة 94). وترتبط الكبالا بعدد من العلوم السحرية، مثل التنجيم والسيمياء والفراسة وقراءة الكف والأحجية وتحضير الأرواح .

ويعتبر كتاب الزوهار من أبرز تراثهم الأدبي، وهو كلمة آرمية معناها النور أو الضياء، وينسب هذا الكتاب إلى موسى الليوني، وقد تأثر في كتابه بأفكار الحاخام سمعون بن يوشاي (السمحراني، 1993، صفحة 94). وفي مطلع القرن الثاني عشر الميلادي تمخض الفكر القبالي مرة أخرى عن مدرسة صوفية كبرى في مدينة جيروناه بإسبانيا، ووضعت له صنوف المؤلفات في مجال التشريع والعقيدة والتفاسير، وبعد التهجير من إسبانيا في مطلع القرن السادس عشر حتى السابع عشر الميلادي ظهرت الكبالا بلباس جديد على يد اسحاق لوريا، وقد لعبت دورا بارزا في ظهور العديد من الحركات والطوائف اليهودية ومنها الحسيديم والتي أسسها إسرائيل بعل شيم طوف سنة 1699 -1761م، وساعدت على ظهورها ظروف اليهود في شرق أوربا في القرن الثامن عشر حيث وقع اليهود تحت الاضطهادات السياسية والكنسية، ولا تزال منتشرة في الغرب.

3- مظاهر اهتمامات الفكر الكبالي

اهتم الفكر الكبالي بمجموعة من المواضيع منها:

3-1- الأخلاق والدين:

اهتمت الكبالا بالأخلاق والدين، والألوهية وحتى الحياة الحيوانية والإنسانية والمادية، والشر –عندهم-غطاء للخير، وسيتحول الشر كله إلى خير، ووظيفة الإنسان علاج الشر في الطبيعة وإخضاعه للنور الإلهي، ويجب التخلص من الشر، كما أن الأفكار والأقوال والأفعال يجب أن تتكامل وتوظف من أجل الرب، ويؤدي هذا التذكر الدائم للرب والسلوك في طريقه، والحب

الشديد له، إلى الوجد والانجذاب إليه وهي أمور تتحقق من خلال حب الله وخشيته، ويجب على المرء أن يتحرر من الأمور الحسية والشهوات مما يخلصه من العالم المادي السفلي، ويصبح مدركا للعالم العلوي، عالم الملائكة والسفرائيم والصلاة بخاصة يجب أن تتصف بصفة الجذب إلى الله (حسن، 2016، صفحة 318).

2-3- الكشف عن الأسرار الإلهية:

بني الفكر الكبالي على التأمل في المركبة الإلهية كما وصفت في سفر حزقيال، من خلال محاولة الكشف عن الأسرار الإلهية باعتماد طريق التفسيرات الباطنية بالإضافة إلى الارتقاء بالروح إلى الحجرات السماوية، وارتبط أيضا بهذا نظريات حول كيفية خلق الكون، فوفقا لأوائل النصوص حول خلق الكون سفر يتسيرا، الذي هو: كتاب الخلق ظهر في القرن العاشر الميلادي، وأصبح محط اهتمام اليهود والفلاسفة، والتصوفة (E.Greenspahn, 2011, p. 41).

خلق الرب الكون باعتماد اثنين وثلاثين دربا غامضا يحتوي على اثنان وعشرون حرفا عبريا بالإضافة إلى عشرة سيفيروت (סְפִירוֹת) ، والتي تعني: الانبعاث والانبثاق، ففي البداية لم يكن موجود سوى الله، ثم أرسل من نفسه انبعاثا غالبا ما يوصف بأنه نور، من هذا الانبعاث الأول انطلقت تسعة انبعاثات أخرى (المؤلفين، دت، الصفحات 66-67)، فأصبح المجموع عشرة وتسمى السيفروت (Cohn-sherbok, 1994, p. 12.17). ولما كانت رؤيا حزقيال من اللبنات الأساسية التي بنى عليها الكبالا أسرارهم الإلهية –كما أشرنا آنفا- ، فإننا نتساءل عن فحوى هذه الرؤية؟.

3-2-1- رؤيا حزقيال

رأى النبي حزقيال رؤيا حول العرش الإلهي في الهيكل أثناء السبي البابلي جاء فيها مل نصه: "**أَنَّ السَّمَاوَاتِ انْفَتَحَتْ، فَرَأَيْتُ رُؤَى اللهِ. [2]فِي الْخَامِسِ مِنَ**

الشَّهْرِ، وَهِيَ السَّنَةُ الْخَامِسَةُ مِنْ سَبْيِ يُويَاكِينَ الْمَلِكِ، [3]صَارَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى حِزْقِيَالَ الْكَاهِنِ ابْنِ بُوزِي فِي أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ عِنْدَ نَهْرِ خَابُورَ. وَكَانَتْ عَلَيْهِ هُنَاكَ يَدُ الرَّبِّ. [4]فَنَظَرْتُ وَإِذَا بِرِيحٍ عَاصِفَةٍ جَاءَتْ مِنَ الشِّمَالِ. سَحَابَةٌ عَظِيمَةٌ وَنَارٌ مُتَوَاصِلَةٌ وَحَوْلَهَا لَمَعَانٌ، وَمِنْ وَسْطِهَا كَمَنْظَرِ النُّحَاسِ اللاَّمِعِ مِنْ وَسْطِ النَّارِ" (حزقيال، 1: 1-10).

تمت ترجمة هذه الرؤيا على أنها انفتاح للذات الإلهية على البشرية، و اهتمامها به، فالباب أصبح مفتوحا على مصراعيه للإنسان ليتصل مباشرة مع الرب، حيث يستطيع من خلال هذا الباب أن يعرف السر الذي طالما سعى للكشف عنه، وهذه الفكرة هي المكون الأقوى في الحركات الباطنية في الأديان، و تعرف هذه الفكرة في الأديان بـ"الإتحاد" الذي هو: القول أن الله هو الأكوان و تعميم الله بكل موجود في هذا الكون، انظر (عامر، 1997، صفحة 18)، فيعتقد دارسوا سفر حزقيال أن هذا السفر يعتبر نداء من الرب للإنسان لأن يتحد به، فالمركبة هي نوع من "الطريق الروحي" يؤدي إلى الهدف الأسمى للروح، أو هي "تعليمات" أو "الوسيلة" التي توصله إلى القاعات السماوية حيث لا عين رأت، لهذا كان هدف السالكين أن يصبحوا "راكبي المركبة"(J.Abelson, p. 15) ، وفي ضمن هذا النظام التأملي آمن الحاخامات أن الأتقياء فقط يمكنهم تحرير أنفسهم من قيد الوجود الجسدي و يدخلوا الفردوس، وكطلاب للمركبة آمنوا أيضا أنه يمكنهم الوصول إلى أعلى درجات الرؤية الروحية، ومن أجل الارتقاء السماوي اتبع هؤلاء العلماء نظام تقشفي صارم تضمن الصوم، والوضوء والتضرع بأسماء الرب، لأجل الوصول إلى حالة الوجد حيث يستطيع "المتصوف" دخول القاعات السماوية السبعة وتحقيق رؤيا المركبة الإلهية (Cohn-sherbok، 1994، الصفحات 23-24).

3-3- الاهتمام بالأعداد والحروف

يؤمن الكبالا بأن للحروف العبرية قداسة خاصة، ولها دور في عملية الخلق، وتنطوي على قوى غريبة خفية، وبالذات الحروف الأربعة التي تكون اسم يهوه: اسم الإله في التوراة التي بين اليهود، وأصل الكلمة هيه، هوه، أي أنا هو من هو، فلكل حرف أو نقطة قيمة عددية، وبذلك التفسير فإن كلمات التوراة مجرد علامات أو دوال تشير إلى قوى ومدلولات كونية وبنى خفية يستكشفها مفسر النص الذي يخترق الرداء اللفظي ليصل إلى النور الإلهي الكامن (المسيري، 1999، الصفحات 164-165)، وهو ما نجده مستمرا حتى عند قبالة العصور الوسطى الذين كانوا يعتبرون جوهر اللغة العبرية هو الأسماء الإلهية، وجوهر هذا الجوهر هو اسم الإله المكون من أربعة أحرف" (Biale، 2011، صفحة 52). ومن هنا ينظر الكبالا للغة العبرية على أنها لغة الإله الخاصة، ومنها أخذت أسماء الإله قيمتها من قيمة اللاهوت اللغوي عندهم، حيث أنهم "منحوا لغة الكتاب المقدس مكانة مقدّسة تتجاوز بكثير ما قصده الحاخامات عندما أطلقوا على العبرية 'اللسان المقدس'" (Biale، 2011، صفحة 52)، وبالتالي فإن ميزة اللغة عند الكباليين أنّها غنوصية باطنية، تُميز كل كبالي عن الآخر، كل واحد فيهم له لغته ورموزها الخاصة التي يتواصل بها مع الإله، فهم يعتبرون اللغة العبرية عكس الطبيعة الروحية الأساسية للعالم، وحسب سفر يتسيرا، فقد خلق الرب الكون من اثنان وثلاثين دربا غامضا، تتكون هذه الدروب من اثنين وعشرين حرفا عبريا وعشرة سفروت، وأكد سفر يتسيرا على أن كل هذه الحروف تلعب دورا مهما في خلق الكون، وقسّم السفر هذه الأحرف إلى ثلاثة أنواع: أمهات، أزواج، وأفراد:

1-3-3- **النوع الأول**: الأحرف الأمهات و هي (ألف، ميم، شين) ترمز إلى العناصر الثلاثة لكل الوجود: ماء يرمز له بحرف ميم، والنار يرمز لها بحرف الشين، والهواء

يرمز له بحرف الألف، السنة أيضا مكونة من ثلاثة أجزاء مرتبطة بهذه العناصر: الصيف مرتبط بالنار، الشتاء مرتبط بالماء، والربيع مرتبط بالهواء، بالإضافة إلى ذلك ، الأحرف الأمهات الثلاثة تمثل في الإنسان الرأس، البطن، الصدر، الرأس النار، البطن الماء، الصدر الهواء الذي هو وسطهما (Cohn-sherbok، 1994، صفحة 30).

2-3-3 **النوع الثاني:** يتكون من سبعة أحرف أزواج (بيت، جيمل، دلت، كاف، رش، تاف) والتي تمثل التضاد في الكون (Cohn-sherbok، 1994، صفحة 31).

3-3-3 **النوع الثالث:** يتألف من اثنا عشر حرفا بسيطا (هاي، فاف، زايين، شيت، تيت، يود، لامد، نون، سمك، أين، تساد، كوف)، والتي ترتبط بنشاطات الإنسان الأساسية، البصر، السمع ،الشم، الكلام، الرغبة في الأكل، الرغبة في الزواج، الحركة، الغضب، المرح، التفكير، النوم، العمل. وهذه الأحرف ترمز أيضا إلى العلامات الفلكية، والأشهر الإثنا عشر، وأجزاء جسم الإنسان (Cohn-sherbok، 1994، صفحة 31).

4-3- نظرية الفيض عند الكبالا:

تؤمن الكبالا بنظرية الفيض والتي معناها أن كل الأشياء الموجودة تتدفق أو تصدر متعاقبة من الرب، فالرب يحتوي في نفسه الكل، فهو كامل، لا يدرك، لا يتجزأ، مستقل بذاته، لا يعتمد على أي شيء، ولا يحتاج شيئا من أي شيء، كل المخلوقات المحدودة تحيا وتفقد الحياة، تتدفق وتصدر، تشع، في سلسلة متعاقبة من الرب الكامل.

والباعث لهذه التعاليم هو محاولة شرح الصعوبات المتعلقة بالأمر المسلم به لدى كل الديانات، وهو وجود رابطة وعلاقة بين الرب وخلقه، فكيف يكون هناك اتصال ورابطة بين كائن قائم بذاته، غير متغير، مطلق، كامل وغير محدود،

وبين مادة محدودة ومتغيرة وغير كاملة...؟ هذا السؤال هو ما تحاول مذاهب الفيض في الديانات أن تجاوب عنه بقولها أن الرب ليس في الحقيقة مرتبطا بأي أحد أو أي شيء خارج عن ذاته، فكل شيء يدرك فيه هو دون تضاد ولا تناقض ولا انفصال ولا تغير ولا تنوع. وبناء على هذا الفهم لا توجد ضرورة للسعي وراء "الرابط المفقود" بين الإله و البشر، والتعددية هي التي جعلت الوثنية في حياة الإنسان ما هي في حقيقة الأمر إلا فيوض إلهية، إشعاعات من الواحد، هي تجليات من الرب الذي تتدفق منه كل الأشياء والتي يجب في النهاية أن تعود إليه، لأنهم في نهاية المطاف واحد مع الواحد، تماما كما أن اللهب واحد مع الشمعة التي صدر منها (J.Abelson، صفحة 43).

بعد تناول بعض مظاهر اهتمامات الفكر الكبالي، فإننا نتساءل هنا عن تأثير وأثر أفكار الكبالا في بعض المفكرين اليهود؟.

4- أثر التصوف اليهودي والكبالي في الفكر الغربي الحديث

تكشف النظرة الفاحصة لمعطيات الثقافة الغربية الحديثة والمعاصرة عن أن المثقفين من أعضاء الجماعات اليهودية الكبالية، قد قدموا إسهامات كثيرة في بناء هذه الثقافة الغربية وإثرائها، وأن هذه الإسهامات قد امتدت إلى مختلف مجالات المعرفة الإنسانية : الفيزياء ماكس بلانك Planck Max، وألبرت اينشتينEinstein Albert ، عالم النفس سيغموند فرويد Freud Sigmun ، الفلسفة اسبينوزا، وغيرهم كثير، والملحوظ كذلك أن أغلب هؤلاء المثقفين قد ظلوا على علاقة وثيقة بتراثهم اليهودي والكبالي خاصة، في هذا السياق يقول يورغن هابرمس Habermas Jürgen (صديقي، صفحة 5). متحدثا عن تأثير اليهود والتراث القبالي في الفلسفة المثالية الألمانية: "الانطلاق من تجربة التراث اليهودي لإضاءة بعض الموضوعات المركزية الخاصة بالفلسفة المثالية الألمانية،" والنتيجة التي يخلص إليها بعد استعراض مظاهر تأثير القبالة في الفلسفة الألمانية

وفي فلسفة كانط خاصة، هي أن الإرث اليهودي أصبح ضروريا لحياة الروحية الألمانية ولاستمراريتها (هابرمس، 1995، صفحة 90) (صديقي، صفحة 5)، يمكننا بيان هذا الأثر والتأثير الكبالي من خلال النماذج التالية:

4–1- باروخ سبينوزا Baruch Spinoza (1632-1677):

دائما ما يُنظر إلى سبينوزا على أنه مفكر في التقليد الفلسفي اليهودي، بعد وفاته بقرن أي عام 1677، "تم اعتباره "يهوديا" فلسفته أمرًا مفروغًا منه. ومع ذلك فقد تم اعتبارها في المقام الأول مسألة علاقة سبينوزا بالتصوف اليهودي القديم والوسيط. في نهاية القرن السابع عشر، على سبيل المثال، لم يكن من غير المألوف اعتبار فلسفة سبينوزا - وخاصة الأخلاق - مشبعة بعمق بالموضوعات الكابالية والتنجيمية" نقلا عن: (Steven Nadler, 2014, p. I)، في القرن الثامن عشر اعتبر جاك باسناج Jacques Basnage في كتاباته "بتضمين سبينوزا في مناقشاته للكبالا، التي يرى أنها مصدر أفكاره الغامضة والصوفية" حاول بانساج أن يقدم تفسيرا محتملا لسبب اعتقاد الشخصيات الحديثة في وقت مبكر أن فلسفة سبينوزا هي القبالية (Popkin, 1992, pp. 387-409) .

غير أن ميتافيزيقا وفلسفة سبينوزا قابلها بعض الفلاسفة المسيحيين واللاهوتيين الذين ابتعدوا عن الدراسات الكبالية واعتبروا أنه "من غير المعقول إشراك اليهودية والمفكر في مرتبة سبينوزا في مثل هذا الهراء المشكوك فيه" (Genevieve LLoyd, 2001, p. 186). لعل من بين المسائل الهامة التي شغلت دارسي ميتافيزيقا سبينوزا هو السؤال: هل الكبالا تقود نحو استنتاجات حلولية، من بين هذه الدراسات نجد J.G.Waechter المعنوية السبينوزية في اليهودية، مبينا أن النسق الحلولي لسبينوزا ينبع من مصادر قبالية (نابت، 2019، صفحة 107)، متأثرا بكبالا أبراهام كوهين دي هيريرا Abraham Cohen de Herrera. والحلولية (panthéisme) من المفاهيم والمعتقدات

المشتركة بين الفلسفة والدين، ومضمونها حلول الخالق في المخلوق، أو أن الطبيعة والخالق شيء واحد، كما ترتبط الحلولية بالتصوف من خلال مبدأ وحدة الوجود الذي دمج ووحد بين الخالق والمخلوق. ليتضح لنا أن سبينوزا هو امتداد للمذهب الحلولي سواء في تمظهره الفلسفي عند اليونان أو في تمظهره الديني والثقافي في الأديان المختلفة.

يرى راسل "إن المبدأ القائل بقدم العالم، وإن العالم لم يخلق خلقا هو الذي أدى إلى الحلولية، فالحلولية تقول بأن الله والعالم ليسا مختلفين وأن كل شيء في العالم جزء من الله، هذه النظرة وصلت قمة تطورها لدى سبينوزا، ولكنها نظرة انجذب إليها كل المتصوفة تقريبا" (البازغي، 2007، الصفحات 133-164). ويبقى تأثير الكبالا على اسبنيوزا بشكل مباشر، وكان من أهم سماتها النزعة الباطنية والهرمسية التأويلية، وهدف القباليين هو الاتحاد مع الله، والاهتمام برمزية النصوص (أيوب، 2017، صفحة 54). فقد حاول اسبينوزا أن يوحد بين الذهن الإلهي وبين موضوع هذا الذهن، وهذا الرأي راجع إلى شراح كتاب الزوهار الذين تحدثوا عن التجليات النورانية التي يجتازها الإله للكشف عن نفسه، كما بشير الكتاب إلى هذه التجليات باعتبارها أوعية أو تيجانا تشكل البنية الداخلية للألوهية.

4-2- سيمغموند فرويد Sigmund Freud (1856- 1939):

تنوعت وتعددت الدراسات التي تناولت الفكر الفرويدي وعلاقته بالكبالا من خلال فكر وفلسفة فرويد التقاطع في شخصيته بين التاريخ والثقافة، فعلم النفس عنده متجذر في اليهودية وعلى وجه الخصوص في تصوف الكبالا. من بين هذه الدراسات نجد: دراسة للباحث الفرنسي دافيد باكان David Bakan بعنوان: فرويد والتراث الصوفي اليهودي، أيضا دراسة بعنوان فرويد الخفي: جذوره الحسيدية لمؤلفه: جوزيف بيرك Joseph H. Berke .

لفرويد مقولة "إذا لم تدع ابنك يكبر في ظل اليهودية، فإنك ستحرمه من مصادر الطاقة التي لا يمكن لأي شيء أن يحل محلها أن يهوديا تدفعه للصراع وعليك أن تدع الطاقة الضرورية لهذا الصراع تنمو في ذاته فلا تحرمه من هذه الميزة" (الخالق، 2009، صفحة 119). يعتبر فرويد كمشارك في تقليد التصوف اليهودي باعترافه "هذا مثال آخر ستجد تأكيدا للطابع اليهودي تحديدا للصوفي" (Jung، 1961، صفحة 363)، وقد طبّق فرويد في كتاباته مثلا الطوطم واللامساس مفاهيم التحليل النفسي، باستخدام الأشكال الكبالية، بحجة أن شخصية الإنسان وبنيته الفردية والإبداعية متجذرة في الجهل لهويتها الخاصة المرتبطة باللامتناهي. أصبح للتحليل النفسي خاصة في القرن العشرين منزلة فاقت منزلة الدين.

كان فرويد ميالا في أعماقه للمشاعر الكبالية، وقد يكون هذا التفسير كافيا لدقة التشابهات الموجودة فعلى سبيل المثال تعتمد طريقة فرويد في تفسير الأحلام على تجزيء الحلم إلى قطع مختلفة ، ثم يحصل الترابط بعد ذلك وفقا لكل قطعة ، يقول فرويد:" منذ المحاولات الأولى لتطبيق هذه الطريقة ، نلحظ أنه يجب التركيز على الحكم ككل بل على الأقسام المختلفة لمضمونه، عندما أسأل مريضا غير مجرب: "بم يذكرك الحلم؟ فإنه يكشف كقاعدة عامة أي شيء في مجال وعيه، وعلى العكس من ذلك إذا عرضت له حلمه قطعة قطعة، فإنه يذكر بعد كل قطعة سلسلة من الأفكار يمكن أن نسميها الأفكار الخلفية لهذا القسم من الحلم.."، ونجد هذا النوع من التفسير في العديد من الكتابات اليهودية مثل الزوهار، حيث يتطلب البحث عن المعاني في التوراة، انتزاعا للنص من محيطه، بطريقة تكشف وحدة التشكلات النفسية أو على الأقل وحدة التشكلات الإلهية" (باكان، 1988، صفحة 21). 4-3- **ارنست بلوخ Ernst Bloch (1885-1977)**

إنه ارنست بلوخ اليهودي والألماني استقى بعض أفكاره ومفاهيمه من المصدر الكبالي، الصوفية اليهودية والمسيحية، وتشبعها بروح اليوتوبيا. تبنى بلوخ الماركسية بسبب أن "ماركس غيّر الفلسفة من خلال جعل الاعتراف بالتناقض الحالي أساسا للممارسة الموجهة في المستقبل" (Payne و Rae Barbera، 2013، صفحة 85)، هذا ما دفعه لصياغة فلسفات تأملية للتاريخ (الخلاص المسياني) محافظا على روح المدينة الفاضلة حتى ثورة العصر الحديث.

قدّم ارنست بلوخ مفاهيم تتشابه مع المفاهيم التي طرحها فرويد تتمحور حول الجنسية تتخللها اعتبارات فوق طبيعية، حيث يقول "نشير إلى أن تصور الشكل المثالي للجنسية هو في التغاير الجنسي الذي يتحقق خصوصا في الزواج، تصبح الزوجية رمز القوة الخلّاقة" (الغني، 2000، صفحة 97).

4-4 جاك دريدا Jacques Derrida (1930- 2004)

عالج مجموعة من النقاد والدارسين الغربيين حضور الكبالا في فكر دريدا، ومن هؤلاء يورغن هابرماسن، وسوزان هاندلمان، وإليوت وولفسون، وموشي إديل، وغيرهم.

يعود دريدا في عدد من كتاباته إلى الكلام عن الختان بوصفه شعيرة لها قيمتها الحرفية والدلالات الاستعارية، فهو القطع البدائي الذي يربط بصورة تقليدية الذكر اليهودي بطائفة الميثاق، العلامة الفارقة، علامة الاختلاف النقش المكتوب للتفرد، اسم علم، الذي يمكن نطقه مرة واحدة فقط، فقطع الختان براه دريدا تمثيلا للذات العليا المتعلقة بسيرة المرء الذاتية لأنه أشبه بالخاتم المزدوج الإثبات، فهو إطار ودائرة للعودة حيث الذات نفسها ترجع وتتكرر، وهنا تحديدا يبرز عنصر مهم يربط جانبا مهما من تفكير دريدا بالرمزية القبلية، الصلة بالختان والكتابة المنقوشة، ففيها إشارة للممارسة التطبيقية القبالية التي تعنى بالذكر المختون الذي يجب ستره في انكشافه، ويمكن اعتبار الختان بمثابة

الطقس والسر المقدس الذي من خلاله يلعب اليهودي دور الاخفاء والخداع عن طريق قطع الفلفة حتى يحرر وينقش رسم ورمز الميثاق (الفيضا، 2018، صفحة 136).

5- أثر الكبالا على الصهيونية والاتجاهات السياسية الدولية

الصهيونية إيديولوجية قائمة على تعاليم الكبالا اليهودية، والصهاينة لا يأخذون بعين الاعتبار أولئك الذين لا يتبنون تعاليم الكبالا" (Adigüzel, 2018, p. 228). لطالما أُستغلت تعاليم الكبالا من أجل كسب الأصوات في الحملات الانتخابية، نظرا لكون الكبالا كان لها تأثير واضح ومؤثر في اليهودية ونهضة إسرائيل، لذا من الطبيعي أن تترك بصمات في العديد من المجالات الاجتماعية والسياسية، "مثل استخدام بركات وتمائم القباليين المشهورين من أجل تعبئة الأحزاب البرلمانية للناخبين. بمعنى أعمق، يوجّه الكابالا بمهارة الأفراد والمؤسسات والقطاعات الدينية اليهودية في إسرائيل في تشكيل مواقفهم المثيرة للجدل (Huss & Pasi, 2010, p. 390).

أما بالنسبة لتمركز الكبالا في دولة فلسطين وخاصة القدس واندماجها بالصهيونية ومساهمتها في تشكيل الهويات القومية والسياسية في إسرائيل ولا سيما التمكين الثقافي والسياسي للمجتمعات الأرثوذكسية السفاردية، والسفارديم هم اليهود الذين استقروا في حوض البحر الأبيض المتوسط وبلدان الشرق الأوسط، ولاسيما تلك التي كانت خاضعة للسلطة العثمانية، وكلمة سفرد تدل في الفكر اليهودي في العصور الوسطى على شبه جزيرة إيبيريا (اسبانيا والبرتغال) (السويلم، دت، صفحة 197)، فإنه "وبالفعل، فإن تماسك التيارات الاشتراكية والعلمانية للصهيونية قد حد من الإشارة إلى الكبالا لبناء هوية وطنية جديدة. ومع ذلك، كانت القدس مركزًا حيويًا للقبالة التقليدية في أوائل القرن العشرين وأصبحت مرجعًا مركزيًا للصهيونية الدينية. أبراهام يتسحاق كوك (1864-

1935)، الحاخام الأول لإسرائيل وأحد المفكرين الأكثر نفوذاً في الصهيونية الدينية، دمج الأفكار الكابالية في أيديولوجية صهيونية وطنية. لتمثيل القوة الحيوية لليهودية داخل بعض المجتمعات الأرثوذكسية" (Altglas، 2014، صفحة 49).

وبما أن الكبالا باءت ضربا من الصوفية الحلولية الرامية لمعرفة الإله، بُغية سيطرة الكبالي أو المتصوف على العالم والتحكم فيه، ويتجلى هذا في السياسة الأمريكية خاصة في عهد الرئيس ترامب وتأثره باليهودية وخاصة الكبالا، وهو الذي أصدر عدة قرارات داعمة لليهود من خلال تحويل عاصمة القدس لليهود، وهو ما نجده في تصريحات ريك وايلز Rick Wiles ، الذي اتهم الشعب اليهودي بامتلاك ترامب والبيت الأبيض يقول ويلز: "دونالد ترامب هو الرئيس الأمريكي المؤيد للصهيونية في التاريخ ... الرئيس ترامب متحالف مع الصهاينة المتدينين، ومعظمهم من رجال القبالة الذين يمارسون القبالة. ينتمي جورج سوروس George Soros وآدم شيف Adam Schiff وبقية حشد ترامب إلى الصهاينة السياسيين العلمانيين. نحن نشهد (هكذا) حرب داخلية بين فصيلين يهوديين قويين للسيطرة على الصهيونية العالمية" (Brown، 2021، صفحة 83)

6- خاتمـة:

يتضح من خلال ما سبق أن الكبالا اتجاه باطني صوفي، يهتم بالقضايا الروحية والأخلاقية والإلهية، وأنه مبني على التأمل في المركبة الإلهية للوصول إلى أعلى درجات الرؤية الروحية والارتقاء السماوي، كما اهتم بالحروف العددية الموجودة في التناخ، وأعطاها قيمة وقداسة كبيرة لاسيما اسم الإله يهوه، ويبدو أن الفكر الكبالي لم يكن مجرد فكر واتجاه صوفي فحسب ، بل كان عبارة عن ممارسة عميقة ، كان لها دورها البارز في تشكيل النقد الغربي الحديث والمعاصر، والذي تبلور في أعمال مجموعة من المفكرين اليهود الكباليين أمثال اسبينوزا، فرويد، دريدا وغيرهم كثير، بل امتد تأثيرها حتى على الساسة والسياسيين. واندمجت الكبالا بالصهيونية العالمية وساهمت في تشكيل الهويات القومية والسياسية في إسرائيل.

7- المصادر والمراجع:

1) الكتاب المقدس

2) ابتسام عبد الخالق، 2009، الحضارات صدام.. صراع. .حوار.. أم تكامل؟ قراءة حضارية في فكر جمال جنبلاط، الدار التقدمية.

3) إبراهيم الفيضا، 2018، دريدا والتراث القبالي ، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثالثة والعشرون، العدد 91.

4) أحمد الجداد، 1988، قراءة في التصوف اليهودي، دط، أبو ظبي: الدار العربية للنشر.

5) أسعد السحمراني، 1993، من اليهودية إلى الصهيونية، ط1، لبنان: دار النفائس.

6) اسماعيل راجي الفاروقي، دت، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، دط، معهد البحوث والدراسات العربية.

7) الخوري بولس الفوغالي، 2002، المحيط الجامع في الكتاب المقدس، ط1، بيروت: المكتبة البولسية وجمعية الكتاب المقدس.

8) دافيد باكان، 1988، فرويد والتراث الصوفي اليهودي، ترجمة: طلال عتريسي، ط1، مكتبة مؤمن قريش.

9) سعد البازغي، 2007، اليهود في الحضارة الغربية، المركز الثقافي العربي، المغرب.

10) شارف عبد الله، 2000، أثر الاستغراب في التربية والتعليم بالمغرب، نادي الأدب لكلية الأدب بتطوان.

11) عامر أبي عد الله، 1997، معجم ألفاظ العقيدة،ط1، السعودية، مكتبة العبيكة.

12) عماري أيوب، 2017، وحدة الوجود عند باروخ اسبينوزا –دراسة تحليلية نقدية- أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران.

13) علي صديقي، بين القبالاه والتفكيكية عند عبد الوهاب المسيري، مؤسسة مؤمنون بلا حدود د م ن.

14) علي مُغنَّم، 2019، عن الجَفر والكابالا، إبداع للترجمة والنشر والتوزيع.

15) محمد بيومي مهران، دت، بنو إسرائيل، الجزء الخامس: النبوة و الأنبياء، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.

16) محمد خليفة حسن، 2016، تاريخ الديانة اليهودية، ط1، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.

17) محمد خليفة حسن، دت، مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم، القاهرة: جامعة القاهرة.

18) نزار صميدة، 2018، النصوص الرؤيوية الكتابية مجالاتها وتداعياتها على الفكر الديني الكتابي قديما وحديثا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

19) يورغن هابرمس، 1995، الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي، ترجمة: نظير جاهل، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي.

الكتب بالأجنبي:

1) Basnage 1716, Book IV, Chapter 7. Popkin (1992, 387-409) provides a possible explanation as to why other early modern figures believed Spinoza’s philosophy to be Kabbalistic.

2) Boaz Huss, Marco Pasi, Kocku von Stuckrad, Kabbalah and Modernity, 2010, Interpretations, Transformations, Adaptations *Aries Book Series*, BRILL Leiden, Boston.

3) Dan Cohn-sherbok and Lavinia Cohn-sherbok, 1994, Jewish and Christian Mysticism: an introduction. The continuum publishing Company. printed in the United States of America: New York.

4) David Biale, Not in the Heavens, 2011, The Tradition of Jewish Secular Thought, princeton University press, Princeton and Oxford.

5) Genevieve LLoyd, Spinoza, 2001, Critical assessments of leading philosophers, Vol 1, Context, source, and the early writings, 1st published, Routledge, New York, London.

6) Hüseyin Adigüzel, 2018, Ittihat ve Terakki Tarihi Yalanlar ve Gerçekler , Bilgeoğuz Yayinlari.

7) Joyce Eiseenberg and Ellen Scolinc: The Jbs Dictionary of Jewish Words

8) Michael Payne, Jessica Rae Barbera, 2013, A Dictionary of Cultural and Critical Theory, John Wiley & Sons.

9) Jung C. G, 1961, Memories, Dreams, Reflections, New York, Pan theon.

10) Micheal L. Brown, Christian Antisemitism, 2021, Confrontng the Lies in Today's Church, Charisma House.

11) Steven Nadler, 2014, Spinoza and Medieval Jewish Philosophy, 1st published, Cambridge university press.

12) Véronique Altglas, From Yoga to Kabbalah, 2014, Religious Exoticism and the Logics of Bricolage, Oxford University Press.

-